

## دراسة تحليلية لنصوص مختارة من الشعر الإسلامي بشمال نيجيريا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادين

عبد السلام محمد عثمان

قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة إلورين - نيجيريا

[phasa@gmail.com](mailto:phasa@gmail.com)

لطيف أونيريتي إبراهيم

قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة إلورين-إلورين، نيجيريا

[onireti@unilorin.edu.ng](mailto:onireti@unilorin.edu.ng)

### المخلص

تعلم النيجيريون العربية، كغيرهم في غرب أفريقيا، لأجل الإسلام، فلذلك تصبغت انتاجاتهم العربية بصبغة إسلامية، فهذا البحث يستهدف إلى دراسة نصوص مختارة من الشعر الإسلامي الذي أنشأه أدياء مملكة برنو وبلاد الهوسا القدامى باللغة العربية في شمال نيجيريا في القرنين السابع عشر والثامن عشر من الميلاد لاستخرج منها ما تضمنته من القيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والدينية. توظف البحث المنهج الإستقرائي الوصفي لتحليل القصائد المختارة كما تبني المنهج التاريخي في سرد تراجم أعلام الشعر و تسجيل أحوال الإسلام واللغة العربية في البلاد. ويحتوي البحث على مقدمة، وبلاد نيجيريا وظهور الإسلام واللغة العربية فيها، وعرض للنصوص الشعرية المختارة ودراستها وتقويمها بناء على نظرية الأدب الإسلامي، وخاتمة.

الكلمات المفتاحية: دراسة وتقويم؛ الشعر الإسلامي؛ شمال نيجيريا؛ القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين.

## **A Study on Selected Texts of the Islamic Poetry in Northern Nigeria in the 17th and 18th Centuries**

**Abdulsalam Muhammad Usman**

University of Ilorin – Nigeria

[phasa@gmail.com](mailto:phasa@gmail.com)

**Lateef Onireti Ibraheem**

University of Ilorin – Nigeria

[onireti@unilorin.edu.ng](mailto:onireti@unilorin.edu.ng)

### **Abstract**

Nigerian Scholars, like their counterpart in West Africa, studied Arabic in order to understand Islam. This research studied selected text from Islamic poetry composed in Arabic by the Borno Kingdom and Hausaland poets in the eighteenth and seventeenth centuries in Northern Nigeria. The aim is to panoramically bring to fore the social, political, economic, educational and religious features embedded in the poetry as well as ascertain its quality. Hence the paper discusses, after introduction, Nigeria and the advent of Islam vis a vis Arabic Language, highlights selected poems, studied and criticized its contents based on the theory of *Al-Adabul Islami* (Islamic Literature). Descriptive method was adopted to analyse the selected poems. At the end of the study, it was discovered that the poetry of this era conformed to the theory of *Al-Adabul Islami* in its forms and contents, because the poets who composed it adhered strictly to Islamic teachings in their ideas, selection of themes and modes of expression. The language used is also of high standard and derived its strength from the Quran, *Sunnah* and other Islamic sources.

**Key Word:** *Study; Evaluation; Islamic Poetry; Northern Nigeria; Seventeenth Centuries AD; Eighteenth Centuries AD.*

## المقدمة

يعدُّ الشعر الإسلامي نتاجاً شعرياً هادفاً يعبر عن الحياة والكون تعبيراً رائعاً عن التصور الإسلامي للخالق ومخلوقاته<sup>١</sup>. بدأ هذا النوع من الأدب المتَّسم بجمال القول وصدق الاعتقاد الإسلامي بعد بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس بشيراً ونذيراً، ثم ظل ولا يزال ينتشر في أقطار العالم كما تنتشر فيها الثقافة الإسلامية. ويتضمن هذا الشعر أغراضاً مختلفة باختلاف المواقف التي أنشئ فيها أو القضايا التي فرض لمعالجتها. ومن أبرز هذه الأغراض الدعوة والإرشاد، ووصف الوقائع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، والمدائح والتهاني والمرثي، والتحريض على القتال، والتزهيد في الحياة الدنيا وزخارفها وتنبيه الغافلين وغير ذلك. لقد سجل الدارسين الإنتاجات الشعرية لعلمائنا القدامى ودرسوها دراسة علمية وأدبية إلا أننا، على حدِّ علمنا، لم نجد من درسها على منهج الأدب الإسلامي مع أن هؤلاء العلماء تعلموا العربية أساساً لفهم الإسلام ومبادئه. فتكون ظلماً لهم دراسة أعمالهم بمنهج غير إسلامي. فالغرض من هذه المقالة إذن، هو أن نعرض بعض القصائد التي ظهرت في شمال نيجيريا في القرنين السابع عشر والثامن عشر من الميلاد على أيدي كبار الأدباء النيجيريين وندرسها ونقومها، على قدر الإمكان، على منهج الأدب الإسلامي في المباحث التالية:

- نبذة يسيرة عن بلاد نيجيريا ظهور الإسلام في مملكة برنو وبلاد الهوسا القديمة
- دالية ابن الصَّبَّاح الكشَنوي المتوفي سنة ١٦٥٥ م في مدح ملك برنو مي علي بن عمر (١٦٤٥-١٦٨٢ م):
- جهاد النفس من قصيدة عطية المعطى للشيخ عبد الله الثقة الكشناوي
- التعليم والإرشاد كإصدار الفتاوى عن الحلال والحرام في قصيدة الشيخ عبد الرحمان البرناوي
- هجاء بني كنوري في مقطوعة يا بني كانور للشيخ الطاهر بن إبراهيم الفلاني البرناوي
- الزجر عن البدعة والتنبيه إلى السنة من قصيدة صرف العنان إلى الجنان للشيخ محمد مودي الكشناوي.

<sup>١</sup> عبد الرحمن رأفت الباشا، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد (د.م: دار الأدب الإسلامي، ط.٤، ١٩٩٨ م، ص.١١٣).

ويجب البحث عن الأسئلة التالية:

ما هي القيم الإجتماعية والدينية والثقافية والسياسية والإقتصادية في شعر علما نيجيريا في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين؟ هل توافق الأشعار المختارة المنهج الإسلامي في الأدب؟ ما أسلوب الشعراء في القصائد المختارة؟ وما بلاغة القصائد المختارة؟ والمنهج المستخدم لتحقيق الأغراض هو المنهج الوصفي التحليلي الإستقراني والمنهج التاريخي.

وقد استفاد هذا البحث من عدد من المصادر والمراجع التي سجلت لنا حركات اللغة العربية وآدابها في نيجيريا في القرنين التي كنا في صدها، فمنها كتاب مصباح الدراسات العربية في الديار النيجيرية لأدم عبد الله الإلوري<sup>٢</sup>، قسم الكتاب العصور التي مرت عليه الأدب العربي في نيجيريا إلى خمسة أقسام وصور أحوال الأدب، شعره ونثره، في كل عصر على حدة، وأتى بالنماذج التي لا بأس منه، إلا أنه لم يدرس هذا النماذج دراسة أدبية فضلا من دراستها دراسة إسلامية كما فعلنا في هذا البحث.

ومنها كتاب الثقافة العربية في نيجيريا لعلي أبو بكر<sup>٣</sup> درس الكتاب التعليم العربي في نيجيريا منذ بدايتها إلى ما بعد الإستقلال بعقد، وناقش العناصر الأدب مع النماذج الكافية ولم يدرس هذا النماذج وفقا للمنهج الأدب الإسلامي. ومنها كتاب حركة اللغة العربية وآدابها شيخو أحمد سعيد غلادني<sup>٤</sup>، فالكتاب عبارة عن نشأة وتطور اللغة العربية آدها في نيجيريا مع دراسة النماذج المقدمة من الإنتاجات دراسة نقدية بالمنهج غير منهج الأدب الإسلامي.

<sup>٢</sup> آدم عبد الله الإلوري، مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية (د.م: مركز التعليم العربي الإسلامي أغيني، ١٩٩٢م).

<sup>٣</sup> علي أبو بكر، الثقافة العربية في نيجيريا من ١٧٥٠م إلى ١٩٦٠م عام الإستقلال (د.م: دن، ١٩٧٣م).

<sup>٤</sup> شيخو أحمد سعيد غلادني، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا (الرياض: شركة العيكان للطباعة والنشر، ١٩٩٣م).

وفي كتاب الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني لأدم عبد الله الإلورى<sup>٥</sup>، وكتاب الإسلام في غرب إفريقيا لعثمان عبد السلام الثقافي<sup>٦</sup> وكتاب الإسلام وحياة العرب في أمبراطورية كانم. برنو لإبراهيم صالح الحسني<sup>٧</sup>، بحوث حول الإسلام وانتشاره ودور الشيخ عثمان بن فودي في توطيده والعوامل المساعدة على انتشار ثقافة العربية في المنطقة. استفدنا منها ببعض قصائد لعلماء العصر قيد البحث، إلا أن هذه القصائد غير مدروسة وفق المنهج الإسلامي في الأدب التي هي مهام هذا البحث.

## بلاد نيجيريا

تقع نيجيريا في الناحية الغربية من قارة أفريقيا. وهي منطقة واسعة من بلاد السودان. يحدها شمالا بلاد النيجر وجنوبا المحيط الأطلنطي وشرقا بلاد الكامرون وغربا بلاد البنين. ومن ممالكها القديمة من الناحية الشمالية مملكة برنو وأقاليم هوسا ونوفي، وفي غربها تقع بلاد يوربا، و شرقها موقع مملكة البنين وبلاد إيبو، وفي جنوبها تقع بلاد النهرات وغيرها. وأما مملكة برنو فقد ابتدأت حول بحيرة تشاد، فلما بلغت أوج مجدها امتدت إلى فزان (ليبيا الآن) شمالا وإلى أراضى كَوَارَوْفُ (جَكُنْ) جنوبا وإلى كنو غربا وإلى دارفور شرقا. نزلت بها أول وهلة قبيلة تسمى ((سو)) ثم وفدت إليها قبيلة أخرى تسمى بل(زاغاوا). ومن هذه (زاغاوا) بدا رجل يسمى (سيف) وقيل إنه جاء من بلاد اليمن، وهو أول من وُحِدَ بين سكانها حتى صار ملكا عليهم وبه تسمت سلطنته بعده وهي سلطنة (سيفاوا).<sup>٨</sup>

هذا وقد ظهر الإسلام في مملكة برنو وبلاد الهوسا القديمة لما أسلم سكان زويلة (وهي بلدة في ليبيا على متلقى الطرق الصحراوية وسكانها الإباضيون من الخوارج) حوالي ٨٠٠م وهاجر منها بعض التجارين إلى بلاد

<sup>٥</sup> آدم عبد الله الإلورى، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني (د.م: د.ن، ١٩٧٨م).

<sup>٦</sup> عثمان عبد السلام الثقافي، الإسلام في غرب إفريقيا (د.م: سراج العلوم الإسلامية، ١٩٩٣م).

<sup>٧</sup> إبراهيم صالح الحسني، الإسلام وحياة العرب في أمبراطورية كانم برنو (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٧٦م).

<sup>٨</sup> عثمان عبد السلام الثقافي، الإسلام في غرب إفريقيا.

برنو وكان منهم جماعة من المسلمين لكنهم قليلون بالنسبة إلى الجمهور فيها. وعلى أيديهم انتشر الإسلام واللغة العربية في مملكة برنو أول وهلة منذ حوالي ٨٠٠م.

وكان الملك الأول هومي ومن حكم برنو بعده من سلالته وأحفاده كفارا إلى القرن الحادي عشر للميلاد عندما أسلم هومي جلبي كأول ملك كانم برنو اعتنق الإسلام وصار الإسلام بواسطته ديناً وطنياً. وأما بلاد الهوسا فقد وقعت في جنوب غدامس منذ إمبراطورية غانا في أعالي النيجير، ومنذ قيام المملكة البرناوية الأولى. وهي منقسمة إلى سبع وهي: دورا، وبرم، وكاشنة، وزكرك (زاريا)، وكنو، ورنو، وغوبر. وقيل إن أسماء هذه البلاد أسماء أولاد (باوا) السبعة الذين تسمت مدينة كل بإسمه. وأما كب، وزنفرا، وكُوَارَزُوفَ (جُكُنْ)، ويوربا، ونوفي، ويأور فهى البلاد المتهوسة، أى البلاد المتشبهة بالهوساوية. وقد دخل الإسلام واللغة العربية في هذه الأقاليم في القرن الرابع عشر من الميلاد وأنجبت هذه البلدان عباقرة العلماء وفطاحل الأدباء الذين ألفوا كتباً عديدة في ميادين العلم والأدب<sup>٩</sup>

## دالية ابن الصَّبَاغ الكشَنوي المتوفى سنة ١٦٥٥م في مدح ملك برنو مي علي بن عمر (١٦٤٥-١٦٨٢م): تحليل وتقويم

### نص القصيدة

علا علي على الكفار مجتهدا	**	مجاهدا في سبيل الله منفردا
فاق السلاطين لم تدرك له مثلا	**	ليث الليوث جريئ القلب منذ بدا
أغائنا غوثة لولاه ما ركدت	**	قلوبنا فرقا من كافر أبدا
ضاقنا بنا الأرض من خوف بما رحبت	**	فجاء واستنقذ الأبناء والحفدا
يأبها الناس قولوا أجمعين معا	**	جزى الإله عليا خيرة نقدا
أباد جيش جكن من عند آخرهم	**	وشتت الله شمل الكفر بل رقدا
سمعت أن أمير المؤمنين علي	**	مشى إلى بلد الكفار مرتصدا
يارب انصره وانصر حزيه نصرا	**	تقرتنا وتسهّل عيشنا رغدا

<sup>٩</sup> عثمان عبد السلام الثقافى، الإسلام في غرب إفريقيا.

**	طغى كويفر في السودان مفتخرا	**	فجال جولة جبار طغى وعدا
**	لو ظن أن له كفوًا يغالبه	**	في الأرض ما جاوزا بحرا ولا بلدا
**	كروّفا بحثوا بالظلف حتفهم	**	فحان حينهم في كف من سعدا
**	بالحج والزور والتصديق والنسك	**	فحاز أفضل منهاج هنا رغدا
**	يصوم دهرا ويغزوا ناويا بهما	**	وجه الإله على الرحمن اعتمدا
**	هذا مديح خديم الشيخ سيد حمد	**	على علي ملك البحر سد عدا
**	أنا ابن الصباغ لا أخفى على أحد	**	إلا على جاهل قد لازم الحسدا
**	الحمد لله حمدا واشكران له	**	على النجاة من الإجماء من مردا
**	وجددوا الشكر من صنع مي علنا	**	لقد فدى جملة السودان من لددا <sup>١٠</sup>

#### ترجمة ابن صباغ الكتشناوي

هو محمد بن الصباغ الكتشناوي (دن مرينا) الذي نجب على يده عدد كبير من العلماء وأبرزهم الشيخ محمد دن مسني. له تأثير كبير في أرض كتشنة وله مؤلفات منها ما يلي:

- ١- الشرح على عشر ينيات الفزازی
- ٢- مزجرة الفتیان (ونسختها موجودة في مكتبة جوس نيجيريا)
- ٣- مدح الملك على بن عمر سلطان برنو المنتصر وهجاء مملكة كوررف (جكن) المنهزمة في حروب بينهما في القرن السابع عشر الميلادي.<sup>١١</sup>

<sup>١٠</sup> دن مرنا محمد بن الصباغ، ديوان ابن الصباغ (جوس: دار الآثار ، د.ت)، ص. ٣.٢.

<sup>١١</sup> Bivar, A. D. H., and M. Hiskett. "The Arabic Literature of Nigeria to 1804: a Provisional Account." Bulletin of the School of Oriental and African Studies 25, no. 1 (1962), p.6

### التعريف بالسلطان علي بن الحاج عمر

هو السلطان الذي تولى العرش البرنوي بين عامي ١٦٤٥-١٦٨٢ م. وفي عهده هجم الطوارق على برنو من الشمال وأغار عليها جكن من مملكة كواررف الجنوبية إلا أنه تصالح مع الطوارق حتى صاروا له حلفاء فنصروه إلى أن هزموا جكن أشد الهزيمة فاستقر الأمن في البلاد وما حوله.<sup>١٢</sup>

### التحليل

ابتدأ الشاعر قصيدته بالإشادة بذكر السلطان علي بن عمر صاحب برنو والأقاليم التابعة لها ومدحه مدحا بليغا بأنه هو الذي بشجاعته الفائقة وحكمته البالغة أنقذ بلاد السودان في عصره من أيدي قبيلة جكن بمملكة (كوررف) الواقعة بجنوب برنو، القبيلة التي تخرب كل بلد نزلوا به وتدمر أهله كأن لم يغنوا به أمس. ثم مضي صاحب القصيدة يخبرنا بأن سكان بلاد السودان من بلاد الهوسا إلي مملكة برنو لم يكادوا ينامون وضائق عليهم الأرض بما رحبت ولم يكن من سلاطينهم من استطاع أن يواجه جكن إلا السلطان علي وأبطاله فقط، فطلب من الناس أن يسألوا الله أن يجزيه جزاء المحسنين ثم دعا ربه عز وجل أن يستمر في نصره أبد الدهر. ثم حملته غيرته الإسلامية أن يوجه عنايتنا إلى نقاط تالية:

- أن ذلك الملك كان يكثر من الحج والعمرة كما كان يكثر من الصدقة والنسك
  - وأنه كذلك كان يكثر من الصوم حتى تعودته وغير ذلك مما يدل على أنه كان متعبدا كثيرا
  - وأنه لا يطلب من تلك العبادات والإحسان إلي غيره من الخلائق إلا وجه ربه تعالى. وبعد ذلك ذكر اسمه المشهور بـ (ابن الصباغ) بأنه هو منشؤها
- ثم ختم قصيدته بعد ما حمد الله بإيحاء أهل السودان بتجديد الشكر لهذا السلطان الذي زاد عن الوطن وأعاد إليه الأمن بقدره الله عز وجل.

<sup>١٢</sup> إبراهيم صالح الحسني، الإسلام وحياة العرب في أمبراطورية كانم. برنو، ص. ١٠٦-١٠٧.



نلاحظ أن هذه القصيدة تتسم بفصاحة ألفاظها ووضوح عباراتها. ألا ترى أيها القارئ أن الألفاظ الواردة في القصيدة مألوفة لاتلجى السامع أو القارئ إلى مراجعة القاموس قبل إدراكها وأن عباراته ناصعة، وسليمة من التعقيد اللغوي والمعنوي ولا يلمس في كلامه اضطراب ولا ضعف التأليف. وعلاوة على ذلك، فإننا نلاحظ أن الشاعر قد تأنق في تخير الكلمات المناسبة التي استخدمها تشبيهاً و مجازاً لأنها وقعت مواقعها من الكلام فقولته (ليث الليوث) و(ضاقت بنا الأرض من خوف بما رحبت) و(فجال جولة جبار طغى وعدا) و(كروزفا بحثوا بالظلف حتفهم) كلها صورة رائعة من صور البيان استخدمها الشاعر ليكون لكلامه تأثير قوي في نفس القارئ أو السامع. وخلاصة القول أن من أمعن النظر في هذه القصيدة ووازن بينها وبين نظائرها من قصائد الشعراء الكلاسيكيين يعدّها من خيار الشعر العربي الذي أنشأها المستعربون السود في مدح السلاطين والأمراء، وأن صاحبها من نوابغ الشعراء في عصره.

## جهاد النفس من قصيدة عطية المعطى للشيخ عبد الله الثقة الكشناوي

### نص القصيدة

**	لأنه فرض عين كان للأمم	**	من الجهاد جهاد النفس من تلف
**	وأصل معصية نفس من الأمم	**	أعوذ بالله من نفس مدسوسة
**	فلا تطع أمرها إلا مع التهم	**	ما زالت النفس في إتلاف تابعها
**	إلا لأجل الرضى بالنفس في الإثم	**	ما فات منا ثواب من عبادتنا
**	عن وقتها وكذا التعجيل بالإثم	**	من حالة النفس تأخير بطاعتها
**	وكل عابد نفس فهو في الندم	**	من كان للنفس عبدا فهي سيده
**	كالكفر والحقد والأطماع والنعيم <sup>١٣</sup>	**	ظهر فؤادك من أدناسها بتقى

<sup>١٣</sup> عبد الله الثقة، عطية المعطى (إبادن: رسكو، د.ت)، ص. ٤٠.

### حياة الشاعر:

ولد الشيخ عبد الله الثقة في أرض كاشنة. وفيها نشأ تحت أسرته الفلانية ومنهم أخذ دراساته الأولية، ثم ارتحل رحلة علمية إلى أكديز وإلى فزان فأكتسب من علماءهما العلوم والآداب، ثم رجع إلى برنو حيث أخذ عن الشيخ البكري حتى تزلع علما وأدبا. ثم عاد إلى بلاده فتنفخ للتدريس فيها حتى تخرج على يده علماء كثيرون منهم الشيخ محمد البقارى والقاضى موسى وغيرهما.

وقد اشتهر الشيخ عبد الله الثقة بوفرة علمه حتى سماه شاعر من علماء عصره مدينة العلم حيث قال:

مدينة العلم عبد الله وهو ثقه \*\* وفي التعداد خذ من بعده عمرا<sup>١٤</sup>

وكان للشيخ عبد الله مع أستاذه الشيخ البكري مناقشة حول العوائد التقليدية عند الفلانيين كالذهاب بالأولاد إلى الغابة وتطويهم بنار موقدة عادة لتدريبهم على الصلابة في الحرب والقتال وغير ذلك. ومن ثمرات علمه وأدبه مما حفظته لنا الأيام قصيدته المسماة بعطية المعطي التي أخذنا منها تلك الأبيات السبع. وهي ألف وخمسمائة بيت في أربعين بابا. وأهم موضوعاتها: التوحيد والفقه والتصوف والاجتماع والسياسة والاقتصاد والآداب والحكم والمدح والحماسة.

توفي الشيخ عبد الله في أواخر القرن السابع عشر من الميلاد بعد تبليغ رسالة ربه بعلمه وتأليفه.<sup>١٥</sup>

### مضمون القصيدة:

افتتح الشاعر هذه القصيدة كواعظ بالتحذير الشديد من هوى النفس حتى حث المؤمنين بقوة عبارته على جهادها ثم استعاذ بالله من النفس إذ هي المصدر الأساسي لمعصية الله تعالى في كل أمة ثم أنذر كل إنسان ألا يترك الإسلام ولا يتساهل فيه باتباع أهواء النفس التي منها تأخير طاعة الله عز وجل والتعجيل بالآثام. فمن تساهل في أمره حتى تبع نفسه في هواها حصد الندامة في عواقب أمره. فمن صار ضربة لازرب

<sup>١٤</sup> آدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا.

<sup>١٥</sup> محمد بلو بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور (القاهرة: مطابع الشعب، ١٩٦٤)، ص. ٤٥-٤٥.



لكل مسلم أن يطهر نفسه من أخبائها وأدناسها بتقوى الله تعالى واجتناب الكفر والحقد والطمع والترف وما إلى ذلك من شهوات النفس الأمارة.

فهذه القصيدة نوع طريف من الأشعار الإسلامية لأنها لم تعرض على حمل السلاح المحسوس للقتال وإنما تستنفض همم المسلمين على جهاد نفوسهم بقوتهم الروحية حتى يطهروها مما دنسها من حب الدنيا وكرهة الآخرة وحتى يصرفوها عما يعوق عن تقدمها كالأنانية والحسد والحرص على الحياة وغير ذلك، وكأن الشاعر يفسر قول الرسول: والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله (رواه فضالة بن عبيد، في تخريج صحيح ابن حبان، عن شعيب الأرنؤوط، الصفحة أو الرقم: ٤٨٦٢، إسناده صحيح، وله شاهد صحيح من حديث أنس)

#### اللمحات العروضية في القصيدة:

بمجرد إنشاد هذه القصيدة يبدو جليا أنها من البحر البسيط التام المخبون العروض والضرب في تفاعيلها الآتية:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن \*\* مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

ويلاحظ أن أبياتها مبنية بناء محكما من حيث العروض ولم يحدث فيها أي اضطراب في أوزانها. وأما من حيث القافية فقد وقع فيها الإيطاء حيث أعاد الناظم كلمة (الأمم) في البيتين الأول والثاني وكلمة (الإثم) في البيتين الرابع والخامس. وهذا الإيطاء عند علماء القوافي يعتبر عيبا من عيوب القافية. وصاحب القصيدة لا يبالي بذلك حرصا منه على استعمال الكلمة المناسبة في عباراته بغض النظر عن القافية وقوانينها.



## التعليم والإرشاد كإصدار الفتاوى عن الحلال والحرام في قصيدة الشيخ عبد الرحمان البرناوي

نص القصيدة:

**	الحمد لله الذي قد عينا	**	لنا الحلال والحرام بيّنا
**	ثم الصلاة والسلام سرمدا	**	على النبي الهاشي أحمدا
**	وأله وصحبه ذوي الهدى	**	وتابع منهاجهم بالأقتدا
**	فأصل دين الله والعبادة	**	أكل الحلال فخذوا الإفادة
**	ولا يحلّ أكل لحم من ذبح	**	غصبًا ولو طبخ هذا ما اتضح
**	أصل الحلال الكسب بالزراعة	**	وبالتجارة والصناعة
**	بورع والصدق في المعامله	**	والعلم في المطلب والمجاله
**	وكلّ حرفة على وجه الحلال	**	أصل له بالعلم خذ بلا كلال
**	دع حرفة بالخط والتنجم	**	وبرقى جنّ وبالترنيم
**	من لم يواس سنّة المجاعة	**	أثم أمر الله قد أضاعه
**	وحكرة في كل شيء تحرم	**	إن ضرتّ الناس على ما يعلم
**	واختلفوا في حكرة الطعام	**	من حيث لا ضرر للأنام
**	وكلّ ما من الحرام اكتسبا	**	فزاد نار كسبه إن ذهب
**	من غير توبة إلى المعاد	**	بالردّ أو بالجود للعباد
**	أو بالتضرّع إلى الرحمن	**	بفضله يمنّ بالغفران
**	وأخذ للنفس والعيال	**	قدر الضرورة من الأموال
**	من غير إسراف ولا زياده	**	على الدّي يحتاج للرّفاده
**	فليس هذا أكلاً حراما	**	كلّا ولا الشبهة يا من راما
**	ومن له الشبهة والحلال	**	فالأكل بالحلّ بذى استعمال
**	تورّع عن الحرام فرض	**	وسنّة عن شبهة فاسترضوا
**	وكلّ من في كسبه تخليط	**	فدع تورّعًا فلا تغليط

سلام

لا لوم في الكفاف إذ لا حرجا	**	في ديننا فخذة لا تهارجا
كلّ حلال طيب وبعضه	**	أطيب من بعض فذا أحلّه
كذا الحرام بعضه أخبث من	**	بعض فجنب خبشه ولا تمن
والغصب والتعدّي والحرايه	**	مكس وكلّ باطل من رابه
قد يسر الله لنا شرب الزلال	**	وتم بالحمد بتسويغ الملال
ثم الصّلاة بعد والسّلام	**	على التّبي وآله التمام <sup>١٦</sup>

### التحليل الوجيز على القصيدة

#### التعريف بالناظم الشيخ محمد بن عبد الرحمان البرناوي

هو الإمام محمد بن الحاج عبد الرحمن البرناوي. أخذ العلم والأدب عن علماء عصره حتى نبغ في الفقه والحديث كما نبغ في اللغة والأدب. وقد أفاد جمهور الناس بعلمه وأدبه عن طريق التعليم والتأليف. ومن مؤلفاته ما يلي:

١- منظومة الأخضري في الفقه المالكي. أتمّ تأليفها سنة ١١١٩هـ/١٧٠٧م

٢- منظومة شرب الزلال في بيان الحلال والحرام. انتهى من تأليفها سنة ١١١٩هـ/١٧٠٧م وتوفي

الشيخ في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي بعد ما قدّم للإسلام حقّه.<sup>١٧</sup>

#### مضمون القصيدة

تدور هذه القصيدة المشهورة باسمها (شرب الزلال) حول قضايا مهمّة في المجتمع الإسلامي، ألا وهي قضايا الحلال والحرام

١- تبيّن القصيدة الحلال والحرام من الطعام والشراب، والملبس والمسكن، ثمّ قضية الحلال والحرام من الطرق المختلفة لكسب المعيشة ثمّ قضية الحلال والحرام من الأخلاق والمعاملات.

٢- تنصّ القصيدة على أنواع الحلال حيث يقول صاحبها:

<sup>١٦</sup> Bivar A.D.H and M. Hiskett(1962),

<sup>١٧</sup> Bivar, A. D. H., and M. Hiskett. "The Arabic Literature of Nigeria to 1804: a Provisional Account."

- أصل الحلال الكسب بالزراعة \*\* وبالتجارة والصنّاعه  
بورع والصدق في المعامله \*\* والعلم في المطلب والمجامله  
وكلّ ما من الحقوق انحلالاً \*\* والتبّعات ذا حلال حلاً  
من حق ربّنا وحق غيره \*\* بلا تعلق به فاستدر
- ٣- تبيّن أنواع الحرام منحصره في المكس الذي ذكر أنواعه بقوله:  
والغصب والتعدّي والحرايه \*\* مكس وكلّ باطل من رابه
- ٤- تبيّن لأهل الضرورات حدودها بقوله:  
وأخذ للنفس والعيال \*\* قدر الضرورة من الأموال  
من غير إسراف ولا زياده \*\* على الدّي يحتاج للرفّاده
- ٥- تحثّ المسلمين بحماس شديد على اتّباع الكتاب والسنة في كسب الحلال واجتناب الحرام

#### أسلوب الناظم

سلك الناظم طريقة الفقهاء الذين لا يفتون ولا يصدرّون أحكاماً للنوازل الفقهية في المجتمع الإسلامي إلا باستشهاد من القرآن أو من السنة أو بالقياس أو بأقوال السلف الصالح من العلماء العاملين. فكم أشار إليهم في هذه الفتاوي كما نلمس ذلك في مختلف أبياته التي نحن في صددها. وأضف إلى ذلك انتباهه منهج العلماء في اختيار بحر الرجز في إنشاء قصيدته العلمية لسهولة فهمه ومناسبته لمقام الكلام. وقد راعى قواعد هذا البحر في إقامة الوزن والقافية حتى أدى رسالته إلى المجتمع الإسلامي بألفاظ ناصعة وعبارات واضحة تدلّ على الغرض المقصود. فالقصيدة إن دلّت على شيء فإنما تدلّ على أنّ صاحبها فارس كبير من فرسان الفقه والأدب.

## هجاه بني كنوري في مقطوعة للهيا بنى كانور لله للشيخ الطاهر بن إبراهيم الفلانى البرناوى

نص القطعة:

إن كانورين كانوا	**	أهل قهر واعتلاء
فالأرجيف لديهم	**	كأراجيز الثناء
والأساطير إليهم	**	ذو أساطين البناء
والأكاذيب إليهم	**	من أكاذيب الجناء
والأساطير أراجي	**	ز بساتين الغناء
يا بنى كانور هذا	**	من فنون الازدراء <sup>١٨</sup>

وله أيضا بيتان في نقد سلطان برنو في عصره :

أتركت بابا لا يحد مسافة	**	وأتيت بابا سده البواب
فلا تلج وتول من	**	بخل وكل ضم هذا الباب <sup>١٩</sup>

حياة الشاعر:

كان الشيخ الطاهر بن إبراهيم الفلانى أحد العلماء الكبار في بلاد برنو، ولاسيما في موضعه المسى بذات البقر حيث نشأ وتلقى التربية الأولى ثم توجه إلى الشيخ البكرى فأخذ عنه العلوم العربية والإسلامية حتى صار بارعا في مختلف العلوم والفنون فرجع إلى موضعه فأخذ في التدريس وبث العلوم في البلاد حتى بلغت سُمُعَتُهُ وشُهْرَتُهُ إلى سلطان برنو فاستدعى به فأسكنه في حصن برنو وولاه أمرا من أموره. ولكن من المأسوف عليه أن الحساد من أهل عصره لم يزالوا يسعون به عند السلطان حتى لقي من جفاء أمرًا فظيعا

<sup>١٨</sup> خليل الله محمد عثمان بودوفو، "الأمن المحلي والعالمي في الشعر العربي النيجيري" مجلة عالم للدراسات العربية، تصدر عن قسم اللغة العربية، جامعة إلورن، نيجيريا. العدد ١، رقم ١، ٢٠١٤ م وفي محمد بلو بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ص. ٣٦.

<sup>١٩</sup> محمد بلو بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ص. ٣٨.

لكثرة نصائحه لولادة الأمر ومواعظه الإصلاحية لأهل البلد والقرى. ومن ذلك الجفاء أن السلطان أمر بإغلاق بابه دونه عند ما أراد أن يزوره يوما من الأيام فكر راجعا إلى موضعه بالحياء، إلا أنه مع ذلك عكف على التدريس والإرشاد والتأليف حتى توفي سنة ١١٦٠هـ/١٧٤٨م.  
ومن أشهر مؤلفاته: كتابه "الدور اللوامع ومنار الجامع في علم التصريف" وكتابه (نظم السنوسية الكبرى) في ألف ونيّف بيت. وله أيضا قصائد شعرية قيمة.<sup>٢٠</sup>

#### مضمون القطعة:

تنقد هذه القطعة الخصال السيئة التي اتصف بها الكانوريون وهي أربع خصال:  
الأولى: أنهم جبابرة متطاولون على غيرهم بعلوهم حتى لا يجعلون لغيرهم فرصة ولا مجالاً للحرية في الشئون الاجتماعية أو الدينية أو السياسية أو الاقتصادية أو غير ذلك.  
والثانية: أنهم مغرمون بالأخبار المختلفة الكاذبة التي لا تعود على أهلها بطائل إلا فتنة لجيرانهم.  
والثالثة: أنهم مولعون بأساطير الأولين، الأساطير التي لا أساس لها في الكتاب والسنة والتي لا أصل لها في تاريخ الأمم الماضية. وهم مولعون بها إيلاع الشعراء بالمدح أمام الممدوحين.  
والرابعة: أنهم كذابون حتى كأن أذواقهم لا تستسيغ شيئا إلا الأكاذيب والأباطيل.  
ثم أفادنا الشاعر في بيتيه الآخرين أن سلاطين برنو يطردون العلماء الناصحين عن قصرهم بخلا علمهم بما فضلهم الله به، وبغضا لاستماع النصائح والتوجيهات الإصلاحية.  
فهذه القطعة تلقى بعض الأضواء على المجتمع البرناوى، المجتمع الذى تكون من الطبقة العليا والطبقة السفلى. والعليا هي التي يستلها الكانوريون أهل القهر والغلبة على حين أن السفلى تتكون من سائر القبائل المختلفة الساكنة في البلاد معهم:

<sup>٢٠</sup> آدم عبد الله الإلورى، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلانى.





وتفيدنا القطعة أن الطبقة السفلى مع كثرة عددهم كانوا يكابدون مشقة الحياة في مختلف نواحيها تحت الكانوريين الذين كانوا يظلمونهم بسياساتهم الجافية وأراجيفهم الفاتنة وأساطيرهم المضلة وأكاذيبهم المهلكة: وطردهم لعلماء الناصحين عن القصر بخلا وحسدا.

ودرءاً لهذه المفسدة، توجه الشاعر إلى بني كانور صائحا عليهم بكناية هذه الأخلاق خزيا وعبيا لو كانوا يعقلون. وإذا فهمنا كل هذا من هذه القطعة نعرف أن صاحبها بطل من أبطل الإصلاح في البلاد وهذه من خصال الإسلام وقيمه.

أما اللمحات العروضية فيها نلمسها بمجرد قراءتنا أن هذه القطعة همزية لأن رويها همزة كما نلمس أنها من مجزو بحر الرمل، وتفاعيله هي:

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلات

بائيان لأن رويها حرف الباء، وأنهما من بحر الكامل المقطوع ضربه وتفاعيله كالآتي:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن فاعلات

وهذه الأبيات الشعرية صحيحة الأوزان، إذ لا يعترضها الإضطراب العروض ولا عيوب القافية.



## الزجر عن البدعة والتنبيه إلى السنة من قصيدة صرف العنان إلى الجنان للشيخ محمد مودى الكشناوى

نص القصيدة

أنهمكم يا أمة الإسلام	**	لسنة من بدعة الملام
يا شامرا من بدعة الحرام	**	لكى تكون ناصرا الإسلام
والحق سيف الله للبرايا	**	لم يلق شيئا شخذه لإفراى
فقابل الحق بلاريا	**	هو الذى دان به الفلاح
واسلك سبيل السنة الغراء	**	فنورها باد لعين الرأى
فالشر مقرون بالإبتداع	**	والخير مضمون بالإتباع

واعمل بما تحوى به الأجورا \*\* وحاذر الفحشاء والفجورا  
وفي اتباع السلف الهداة \*\* وسيلة للأمن والنجاة<sup>٢١</sup>

#### حياة الشاعر:

كان الشيخ محمد مودى عالماً كبيراً وداعية مشهوراً في عصره. ومع أن المؤرخين لم يسجلوا لنا تاريخ مولده ووفاته فإننا نجزم بأنه من مواليد القرن الثامن عشر الميلادي لأنه ألف قصيدته هذه سنة ١١٨٦هـ/١٧٧٢.

وكان الشيخ محمد مودى من أئمة العلم والأدب في عصره كما كان من أرباب المنافحة عن الإسلام ودراساته في زمانه بوعظه ونقده حتى اشتهر بين أهل زمانه. ومما زاده شرفاً وجاهاً في أيامه أنه كان زاهداً تقياً، عاملاً بما علم ومثلاً لأوامر دينه ومبتعداً عن نواهيها. ومن علامات زهده أنه كان لا يخالط السلاطين ولا يأمر الناس إلا بما أمر به نفسه. وكان يسير في أموره على ضوء مواعظة حتى إذا نشر قصيدته المذكورة أنفاً بين الناس دعاهم إلى الهجوم عليه إذا رأوه سألگاً على خلاف مواعظه حيث يقول:

وإن أكن خلاف وعظي فارموا عليّ وترى ورُعظي<sup>٢٢</sup>

وهكذا كان الشيخ مودى يبث دعوته الإسلامية في البلاد بلسانه وقلمه حتى توفي.

#### مضمون القصيدة:

بدأ الشاعر قصيدته بتنبية الأمة الإسلامية من نومهم العميق، النوم الذي أوقعهم في قبضة البدعة التي أفسدت حياتهم الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية بعد إفسادها لحياتهم الفردية والعائلية، فوجههم إلى السنة الغراء ونادى كل شميرى متجرد لإقامة الإسلام ونصره على سائر الأديان في بلاد هميسا وما حولها فأقرّ لهم بأن الحق في تحليل المشاكل كالسيف الصارم. فالحقيق بالعاقل أن يواجه الحق ويقبل

<sup>٢١</sup> مودى بن محمد القومى، *صرف العنان عن طريق النيران إلى طريق الجنان* (د.م: الإمام إبراهيم سروميأغبومشو، ١٩٦٢م)، ص. ١٤-١٩.

<sup>٢٢</sup> مودى بن محمد القومى، *صرف العنان عن طريق النيران إلى طريق الجنان*، ١. ثم راجع آدم عبد الله الإلورى، *الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودى الفلانى*، ص. ٦٢.

عليه بصميم الفؤاد وأن يسلك المسلك السنى الواضح، المسلك الذى يظهر لكل مبصر نوره. وما الإبتداع إلا شره فلا ينبغى لك أيها المجاهد فى سبيل الله إلا أن تميل إلى ما تحصل به على الثواب وأن تحذر كل الحذر من الفحش والفجور. ولا وسيلة إلى الأمن والنجاة إلا فى اتباع السلف الصالح. فعليك أيها المجد فى أمر الإسلام أن تتخذهم أسوة فى دينك ودنياك. فالقصيدة لا تدعو إلا إحياء السنة وإخماد البدعة إلا كل المجد فى الملة الإسلامية، المتشمر لإعلاء أوامره ونواهيه ضد القوانين الوضعية والتقاليد الموروثة الممقوتة. ومن محاسن القصيدة أنها أشهتت للسنه الصحيحة نورا وخيرا وأقرت للبدعة غيا وشرًا، تشجيعا على اتباع السلف الصالح.

#### اللمحات العروضية فى القصيدة:

تبدو لنا جليا بمجرد اطلاعنا على القصيدة أنها من بحر الرجز التام فى تفاعيلها الآتية:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

وقد قطع الشاعر بعض الأعرىض والأضرب فى أكثر أبياته كما هو ظاهر فى البيتين الأولين وفى صدر البيت الثالث وأتم بعضها بلا قطع كما فى عجز البيت الثالث المذكور وكلا الأمرين جائز مستساغ عند العروضيين. ويضاف إلى ذلك أن الشاعر قد بنى أرجوزته مزدوجة حيث استوت الأعرىض والأضرب قافية ورويا كما هو بيّن فى جميع أبيات قصيدته. ومما يعد من فضائل القصيدة أن ناظمها قد راعى قواعد هذا البحر وقوافيه مراعاة سديدة حتى لم يقع فيها قلق ولا اضطراب.

#### الخاتمة

نلاحظ من الدراسة السابقة أن ابن الصباغ لم يمدح السلطان علي بن عمر صاحب برنو سدى إلا لقيامه بجهاد الكفار الذين كانوا يريدون أن يغزوا مملكة برنو الإسلامية وما حولها، ويسترقوا سكانها تحت قيادة ملك جكن (كوراروف) المشهور فى عصرهم بوثنيتها وطغيانه على أرض غيره من الملوك. ومن الملحوظات القيمة ما قدمه الشيخ عبد الله الثقة إلى الناس من حث كل مسلم ومسلمة على القيام بجهاد النفس وردّ جماحها (كما يردّ جماح الخيل باللجم) وترويضها على مكارم الأخلاق وحسن السلوك. وكذلك ندرك فى

منظومة الشيخ عبد الرحمن البرناوي كيف سلط الناظم الأضواء على أنواع الحلال والحرام من الأكل والشراب واللباس كما سلطها على ما استحسن أو استقبح من وسائل الكسب وأسباب المعيشة. وبعد ذلك يظهر لنا أن الشيخ الطاهر بن إبراهيم الفلاني لم ينشئ قصيدته للشعبوية أو لمجرد الهجاء، وإنما قرضها لزجر السلاطين البرناوين وعمالهم وأعاونهم المتغطرسين عن سوء معاملتهم مع العلماء الناصحين بصفة خاصة. ولردّ عنايتهم إلى الدستور الإسلامي في التفاعل مع الناس أجمعين بإحسان بصفة عامة. ونلاحظ أيضا أن الشيخ محمد مودي الكتشنوي لم يدع بقصيدته الأمة الإسلامية إلى إحياء السنة وإخماد البدعة بحماس شديد إلا لزجر المصيرين على البدعة والفساد الذين كانوا يتبعون غير سبيل المؤمنين في عصره من الملوك وسوقتهم وعلماء سوء وتلاميذهم.

وأما من حيث الشكل، فإننا نلاحظ أن هذه القصائد قد بنيت بناء صحيحا محكما في مختلف أوزانها وقوافيها فلا نجد فيها ضرورات شعرية إلا قليلا. ومما يعدّ من محاسن هذه الأعمال اتسامها بفصاحة الألفاظ وقوة التركيب البلاغي ومطابقة الكلام للمقام الذي قيل فيه كإطناب ابن الصباغ في مدح سلطان برنو وإيجاز الشيخ الطاهر الفلاني في زجر السلطان البرناوي المتكبر في زمانه وتلؤن الأساليب في قصيدة الشيخ محمد مودي الكتشنوي، وتسلسل الأفكار وتماسك المعاني من بداية كل قصيدة إلى آخرها.

وأخيرا نلاحظ أن هذه القصائد من حيث الشكل والمحتوى (أعني كميا وكيفيا) تتماشى مع التصوّر الإسلامي، لأن أصحابها التزموا بالاتجاه الإسلامي في أفكارهم واختيار موضوعاتهم وصوغ أشعارهم للتعبير عنها. وإن دلّ كل ذلك على شيء فإنما يدلّ على أن الشعر الإسلامي ليس بشعر هزلي منشأ لمجرد التمتع أو التكبّ فقط، بل هو شعر هادف يناقش به القضايا التي تهّم الأمة الإسلامية على وجه خاصّ وسكان العالم على وجه عام.

ونوصي الدارسين بالإقبال على دراسة أعمال علماء نيجيريا الأقدمين منهم والمحدثين وفق منهج الأدب الإسلامي ليتم معرفة مدى إلتزامهم بالتعاليم الإسلامية وقيمها فيها، وإخراج هذه الأعمال الإبداعية من الطمور فيستفيد العالم من مضمونها.

## المصادر والمراجع

- ابن الصبّاغ، دن مرنا محمد. ديوان ابن الصبّاغ. جوس: دار الآثار، د.ت.  
ابن فودي، محمد بلو بن عثمان. إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور. القاهرة: مطابع الشعب، ١٩٦٤م.
- أبوبكر، علي. الثقافة العربية في نيجيريا من ١٧٥٠م إلى ١٩٦٠م عام الإستقلال. د.م: د.ن، ١٩٧٣م.  
الإلوري، آدم عبد الله. الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني. د.م: د.ن، ١٩٧٨م.  
الإلوري، آدم عبد الله. مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية. د.م: مركز التعليم العربي الإسلامي أغيني، ١٩٩٢م.
- الباشا، عبد الرحمن رأفت. نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد. د.م: دار الأدب الإسلامي، ١٩٩٨م.
- بودوفو، خليل الله محمد عثمان. "الأمن المحلي والعالمي في الشعر العربي النيجيري" مجلة عالم للدراسات العربية، تصدر عن قسم اللغة العربية، جامعة إورن، نيجيريا. العدد ١، رقم ١، ٢٠١٤م.
- الثقافي، عثمان عبد السلام. الإسلام في غرب إفريقيا. د.م: سراج العلوم الإسلامية، ١٩٩٣م.  
الثقة، عبد الله. عطية المعطي. إبادن: رسكو، د.ت.
- الحسني، إبراهيم صالح. الإسلام وحياة العرب في أمبراطورية كانم. بنو. القاهرة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٧٦م.



غلاذني، شيخو أحمد سعيد. *حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا*. الرياض : شركة العيكان للطباعة والنشر، ١٩٩٣ م.  
القومتي، مودي بن محمد. *صرف العنان عن طريق النيران إلى طريق الجنان*. د.م: الإمام إبراهيم سروميأغبومشو، ١٩٦٢ م.

Bivar, A. D. H., and M. Hiskett. "The Arabic Literature of Nigeria to 1804: a Provisional Account." *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 25, no. 1 (1962).

